وأقنِ التواضعَ خُلقاً لا تزايلُه . عنك الليالي ولو أُلبِسْتَ التاجا .
ولا تَشِمْ كلَّ خالٍ لاحَ بارقُه . وإن ترا اهتوانَ السكبِ ثجّاجا .
ما كلُّ داعٍ بأهلٍ أن يُصاخَ له . كم قد أُصمَّ بغيٌ بعضَ من ناجا .
وما اللبيبُ سوى من باتَ مقتنعاً . ببلغةٍ يدرجُ الأيامَ إذ راجا .
فكلُّ كُثرٍ إلى قُلٍّ مغبّتُه . وكلُّ نارٍ إلى الحَيْنِ وإن هاجا .
قال الراوي فلمّا ألقح عقمَ الأفهام بسحر الكلام استروح
ريحَ أبي زيدٍ وما دأبي الارتياحُ إليه أيَّ مُبدٍ فمكثتُ حتى
استوعب بثَّ حكمته وانحدر من أكمته ثم دلفتُ إليه
لأتصفّحَ صفحاتِ محيّاه واستشفَّ جوهرَ حلاه فإذا
هو الضالّةُ التي أنشدها وناظمُ القلائد التي أنشدها .
فعانقته عناقَ اللام للألف ونزّلته منزلةَ البُرء من الدنف
وسألته أن يلازمني فأبى أو يزاملني فنبا وقال آليتُ
في حجّتي هذه أن لا أحتقبَ ولا أعتقبَ ولا أكتسبَ ولا
أنتسبَ ولا أرتفقَ ولا أرافقَ من ينافق ثم
ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل أُقرِبه نظري وأودُّ
لو يمشي على ناظري حتى توقّل أحدَ الأطواد ووقف للحجيج

بالمرصاد

بالمرصاد يحيّي شاهدَ إيضاعِ الركبان بالكثبان وقرعِ البنات
على البنان واندفع بأفصح لسان وقال

ليس من زار راكباً مثلَ ساعٍ على القدم . لا ولا خادمٌ أطاع كعاصٍ من الخدم .
كيف يا قوم يستوي سغبانٌ ومن هدم . سيقيم المفرطون غداً مأتمَ الندم .
ولفوزِ الذي تقرّب طوبى لمن خدم . ويكِ يا نفسُ قدّمي صالحاً عند ذي القِدم .
وازدري زخرفَ الحياة فوجدانُه عدم . واذكري مصرعَ الحِمام إذا خطبُه صدم .
واندبي فعلكِ القبيحَ وسحّي له بدم . وأذيبي بتوبةٍ قبل أن يحلم الأدم .
فعسى الله أن يقيكِ السعيرَ الذي احتدم . يومَ لا عثرةٌ تُقال ولا ينفع الندم .

ثم إنه أغمد عضبَ لسانه وانطلق لشانه فما زلتُ في كل موردٍ أتورّدُه
ومعرّسٍ أتبوّأه أنتقده فأفقده وأستنجد من ينشده فلا
أجده حتى خلتُ أن الجنَّ قد اختطفته أو الأرضَ قد التقطته فما كابدتُ
في الغربة كهذه الكربة ولا مُنيتُ في سفرةٍ بمثلها من زفرة .

المقامة الثانية والثلاثون وتعرف بالفقهية

حكى الحارث بن همّام قال أجمعتُ حين قضيتُ
مناسكَ الحج وأقمتُ وظائفَ العجّ والثجّ أن أقصد طيبةَ مع رفقةٍ من
بني شيبة لأزور قبرَ المصطفى وأخرج قبيل من حجَّ وجفا فأرجف بأن